جامعة سطيف2 تنظم

لقاء علمي بمناسبة ذكرى مجازر 8 ماي 1945

يوم 2017/05/07 بـ: قاعة المحاضرات

عنوان المداخلة:

دور الحرب النفسية في إنجاح الثورة الجزائرية وافشال سياسة الاستعمار الاستيطانية

إعداد:

أ.د بوسنه محمود

المدير العام للوكالة الموضوعاتية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية

دور الحرب النفسية في إنجاح ثورة التحرير الجزائرية وإفشال سياسة الاستعمار الاستيطانية

مقدمة

1. ماذا نقصد بالحرب النفسية؟
2. منهجية البحث
3. طبيعة الحرب النفسية التي تم اعتمادها في مختلف مراحل الاحتلال الفرنسي للجزائر
4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر
5. المرحلة الثانية (1900-1954) صعوبة تكيف الجزائريين مع الهزيمة: إعادة بناء الذات والمعنويات
6. المرحلة الثالثة (1954-1962) ثورة التحرير: مرحلة المعنويات الغير محدودة

خاتمة

مقدمة...

- تعتبر الحرب النفسية قديمة قدم المجتمع البشري

نجدها منذ العصور القديمة تسبق وتواكب وتستمر حتى بعد الحرب العسكرية؛

فالقائد العسكري يستخدمها:

- من أجل خدمة خططه؛
- وضمان نجاح تدخلاته العسكرية في الميدان.

مقدمة...

- إن الحرب النفسية رغم أهميتها وتطور أساليبها، فإنها مازالت تثير العديد من التساؤلات والحدر عند العديد من الباحثين؛

مما جعل البحث فيما يخص الكثير من الحروب والثورات ينحصر بالدرجة الأولى في التحليل التاريخي للأحداث والعمليات العسكرية.

مثلا عندما نتمعن في الانتاج الفكري حول الاحتلال الفرنسي للجزائر وثورة التحرير نجد أن أغلبية الكتابات تندرج ضمن التحاليل التاريخية السردية للأحداث (سواء كتابات الباحثين الجزائريين أو الباحثين الفرنسيين).

- من الضروري أن يساهم مختلف المختصين وليس فقط المؤرخين في دراسة هذه المرحلة من تاريخ الجزائر وتحليلها من اجل الوصول إلى قراءة أكثر عمقا بفضل تعدد التساؤلات والمقاربات والتدقيقات.

- سنتناول في هذه الورقة دور الحرب النفسية في إنجاح ثورة أول نوفمبر 1954 وافشال مشروع الاستيطان للمستعمِر.

مقدمة...

- **يجب التنبيه إلى أن الحرب التي نتجت عن تفجير ثورة نوفمبر دارت بين قوتين غير متكافئتين من الناحية العسكرية ومن الناحية السياسية والاقتصادية.**

أولا - نجد فيما يخص القوة العسكرية،
من جهة جيش التحرير الوطني ومن جهة أخرى جيش الدولة الفرنسية.

- **جيش التحرير الوطني:** يعتبر مؤسسة عسكرية حديثة النشأة. كان يعتمد بالأساس على الأسلحة الخفيفة ومتطوعين أغلبيتهم في حاجة إلى التدريب القاعدي على استخدام السلاح، هذا بالإضافة إلى النقص في العتاد والتنظيم والتجربة والدعم المادي خاصة مع بداية الثورة.

- **جيش الدولة الفرنسية:** يعتبر هذا الجيش مهيكل ومدرب ومنظم بصورة جيدة، ويملك أسلحة متطورة من الخفيفة إلى الثقيلة وفي مختلف الأنواع (بر، جو، بحر) مع تمتعه بخبرة قتالية طويلة.

مقدمة...

ثانيا- فيما يخص القوتين السياسيتين المتقابلتين
فإننا نلاحظ نفس الصورة، حيث نجد:

- من **جهة جبهة التحرير الوطني:** وهي تنظيم حديث النشأة أشرف عليها شباب قوتهم الأساسية عقيدة قوية فيما يخص قضيتهم "استقلال الجزائر" واستعداد كامل للتضحية ودعم من طرف أغلبية الشعب لهذه القضية. لكن **إمكانياتهم المادية محدودة** وتجربتهم فيما يخص التنظيم والتسيير والعمل الديبلوماسي قصيرة. هذا بالإضافة إلى أن هذا التنظيم السياسي كان في **حاجة في المرحلة الأولى من الثورة إلى الحصول على الاعتراف** الرسمي لكل من الأحزاب والجمعيات والشخصيات الجزائرية وعامة الشعب وكذلك المجتمع الدولي.

- **وفي المقابل الدولة الفرنسية:** مهيكلة ومنظمة بمؤسساتها وادارتها وأحزابها، واعلام قوي متواجد على المستوى الداخلي والدولي. وفوق ذلك كانت هذه الدولة تتمتع في ذلك الوقت، بمكانة مرموقة فيما بين الدول المسيطرة على الساحة العالمية، واعتراف لا غبار عليه على المستويين الداخلي والخارجي، بشريعتها وشريعة مؤسساتها.

- ورغم هذا الفارق الصارخ لصالح القوة الاستعمارية فالمعركة الشاملة والتي دامت سبع سنوات ونصف أنصفت الجزائر.
- حيث أن الفارق الكبير فيما يخص الإمكانيات المادية والتنظيمية لصالح المستعمِر لم يصمد أمام **الفارق الكبير في المعنويات النفسية** والإيمان بعقيدة التحرير لصالح المستعمَر.

مقدمة

سنشرح في البداية من هذه المداخلة معنى الحرب النفسية ثم طبيعة عمليات الحرب النفسية التي عرفتها مختلف مراحل الاحتلال الفرنسي للجزائر وهذا قبل تحليل دور
وأهمية المعنويات النفسية في ثورة التحرير.

1. ماذا نقصد بالحرب النفسية؟...

- تعتبر الحرب النفسية من أخطر أنواع الحروب،

لأنها تستهدف عقول وتفكير وقلوب أفراد الطرف الآخر بهدف تدمير روح معنويتهم ودفعهم إلى الانهيار النفسي وفقدان الثقة في مؤسساتهم من جهة، والانبهار بقدرات وامكانيات وفعالية الطرف المقابل. وتبقى الغاية المقصودة من هذه الحرب هو القضاء على إرادة القتال عند العدو وتنمية لديه الاستعداد لتقبل الهزيمة.

- لقد أصبحت هذه الحرب اليوم هي الأساس في إدارة الصراعات الدولية، وليس الحرب العسكرية مثل ما كان الأمر في السابق قبل الحرب الباردة.
- إن الحرب العسكرية تحولت فعلا إلى الصف الثاني، يلجأ إليها من أجل تثبيت نتائج الحرب النفسية أو للتعجيل بحدوث بعض النتائج، وهذا راجع إلى عدة أسباب نذكر منها ما يلي:

1) التقدم الذي أحرزته العلوم النفسية والعلوم الاجتماعية في معرفة العوامل التي تؤثر على السلوك (الفرد أو المجموعة)؛
2) التقدم الكبير فيما يخص تكنولوجية الإعلام والاتصال؛
3) تطور أسلحة الدمار الشامل عند عدد من البلدان بصورة مرعبة، مما أصبح الجميع يحرص على أن تستخدم فقط من أجل الردع وكبح فكرة اللجوء إلى هذه الأسلحة.

1. ماذا نقصد بالحرب النفسية؟...

– تجدر الإشارة إلى انه يوجد العديد من التسميات **للحرب النفسية**، وذلك يعود بالدرجة الاولى إلى أن الباحثين والمهتمين بالموضوع ينطلقون في تناولاهم وتحليلاتهم من تجارب بلادهم ومن نظراتهم الخاصة، فمثلا نجد التسميات التالية حسب البلدان :

- **الحرب السياسية** في بريطانيا؛
- **الحرب الفكرية** في ألمانيا؛
- **حرب الدعاية** في روسيا؛
- **حرب العمليات النفسية أو حرب الأعصاب** في أمريكا؛
- **الحرب الحضارية** في الصين؛
- **الحرب النفسية** في فرنسا....

– وبالإضافة إلى هذه التسميات نجد أيضا ما يلي: **الحرب العلمية وحرب العقول** و**حرب الإرادة** و**الحرب العقائدية**.

1. ماذا نقصد بالحرب النفسية؟...

- في هذه المحاضرة اخترنا استخدام تسمية **الحرب النفسية** لأن هذه التسمية حسب رأينا مناسبة أكثر للحرب الغير مادية التي سبقت ورافقت الحرب العسكرية الناتجة عن تفجير ثورة أول نوفمبر التحريرية.

- وذلك لأن خصائص القيادات التي فجرت هذه الثورة وأغلبية أفراد الشعب الذين آزروها وآمنوا بها كانوا يتميزون بصفة هامة وهي **المعنويات النفسية العالية الغير محدودة** وهذا نتيجة إيمانهم بعدالة القضية واستعدادهم لتقبل **حل وحيد ثنائي المخرج لا غير وهو إما الاستقلال أو الاستشهاد في ساحة المعركة.**

1. ماذا نقصد بالحرب النفسية؟...

- إن عمليات الحرب النفسية مبنية بالأساس على الكلمات والأفكار من أجل تغيير السلوك (إن الموضوع المفضل لهذه الحرب هو شخصية الفرد).
- إن أسلحتها عرفت تطورا مستمرا مند القدم، حيث كانت تعتمد على الجواسيس والدعاية والشائعات والتخويف والإرهاب واثارة الفتن والاغتيالات وتشجيع التمرد....
- ومع تطور علم النفس والإعلام وتكنلوجية الاتصال عرفت أسلحة هذه الحرب تدقيقات وتطور في الأسلوب والوسائل، حيث أصبحت برامجها تبنى على أسس علمية مدروسة وتعتمد على وسائل الإعلام المختلفة الجد متطورة (السمعية والمكتوبة والسمعية–البصرية والشبكاتية...).

فمن الأسلحة التي أصبحت شائعة الاستخدام نجد ما يلي:

- **غسل الدماغ** (تمزيق شخصية الفرد وخلق شخصية جديدة)؛
- **استخدام الأقليات العرقية والعشائرية**؛
- **استخدام المنظمات** (المحلية والدولية بشرائها ماليا أو عقائديا)؛
- **التزوير** (العملة، الجوزات....)؛
- **الضغوطات والحصار الاقتصادي**؛
- **العمل على تعطيل وسائل الاتصال الخاصة بالعدو.....**

1. ماذا نقصد بالحرب النفسية؟...

إن عمليات الحرب النفسية متعددة وشاملة لمختلف جوانب الحرب في الحروب الشاملة، مثل ثورة التحرير الجزائرية. وتصنف هذه العمليات إما على أساس :

- طبيعة الجمهور الموجة إليه (الجمهور الداخلي، جمهور العدو، الجمهور المحايد)
- أو طبيعة ومدى الحرب النفسية، ونجد بها ثلاثة أنواع وهي:

- الحرب النفسية الاستراتيجية وهي موجهة للجميع أي كل أنواع الجمهور وغير محددة بالزمان والمكان؛
- الحرب النفسية التكتيكية (العملياتية) وهي موجهة لجيش العدو ورعاياه في ميدان المعركة وهدفها
عرقلة جهود العدو الحربية وغرس روح الاستسلام عند جنوده؛
- الحرب النفسية التعزيزية وهي موجهة بالأساس للمدنيين وذلك من أجل الحصول على أكبر درجة ممكنة
من التعاون من طرفهم من أجل تسهيل تحقيق الأهداف الاستراتيجية

.

2. منهجية البحث

ترى ماهي الأفكار التي بنيت عليها برامج الحرب النفسية والأسلحة التي تم استخدامها في إطار هذه الحرب اثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر في مختلف مراحله ؟

لتقديم إجابات وافية عن هذه الإشكالية المتصلة بالحرب النفسية المعتمدة خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830–1962)، عمدنا إلى استخدام المنهج التحليلي. حيث تم تحليل استراتيجيات هذه الحرب وطبيعة محتوياتها ونتائجها في إطار سياقها التاريخي والسياسي والحربي، وذاك من خلال:

1– دراسة وتحليل العديد من البحوث الدولية والوطنية والوثائق التاريخية الهامة والتقارير والنصوص التشريعية والوسائط الإعلامية ذات الصلة بهذه الفترة ؛

2– تنظيم الأدلة البحثية الموثقة في هذه البحوث والوثائق والتقارير والوسائط الإعلامية المتوصل إليها في سلسلة من البيانات الكمية والنوعية.

إن الهدف من الاعتماد على المنهج التحليلي في هذا البحث، هو التعمق أكثر في فهم واكتشاف ما وراء الظواهر والأفكار والكلمات التي سادت وسيرت الحرب النفسية في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر.

3. طبيعة الحرب النفسية
في مختلف مراحل الاحتلال الفرنسي للجزائر

إن مسار الحرب النفسية خلال (1830-1962) مر بعدة مراحل وهي:

1- مرحلة عزو فرنسا للجزائر وبسط سطرتها (1830 بداية الغزو-1900 نهاية آخر ثورة مقاومة شعبية):

2- مرحلة محاولات التكيف مع الهزيمة (1900-1954):

3- مرحلة التحرير (1954-1962):

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر...

فيما يلي نقدم معطيات تخص أفكار ووسائل وأدوات الحرب النفسية التي تم استخدمها من طرف المستعمِر أثناء المرحلة الأولى من غزو الجزائر.

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر...

الحرب النفسية الموجهة إلى الفرنسيين والحلفاء الأوربيين والعالم

الأفكار التي اعتمدت لتسويق مشروع الاستيطان للجزائر

- فرنسا حاملة للحضارة لأرض الجزائر؛
- سكان الجزائر متوحشين وبدائيين وغير قابلين للتحضر؛
- استعمار الجزائر قضية شرف وكرامة بالنسبة لفرنسا؛

الوسائل والأدوات التي استخدمت

- **النخبة المثقفة (دي توكفيل، فيكتور هيقو، لامرتين....)؛**
- **رجال الإعلام (السمعي، السمعي-البصري، المكتوب...)؛**
- **شخصيات سياسية وعلمية داخل فرنسا ومن أوروبا؛**
- **رجال الدين؛**
- **استخدام المنظمات السياسية ومنظمات المجتمع المدني؛**
- **استخدام مختلف وسائل الاتصال (السفارات، الندوات، المقابلات....)؛**

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر

الحرب النفسية الموجهة إلى الجزائريين

1- أفكار لمخادعة الجزائريين وكسب ود البعض منهم لتسهيل الغزو والحد من المقاومة:

- فرنسا بلد قوي ومتحضر سيساعد سكان الجزائر على التحضر والتخلص من سيطرة الأتراك،
- فرنسا القوية ستحترم دين الجزائريين ولغتهم وثقافتهم وأملاكهم،
- إن جيش فرنسا قوي جدا ولا يهزم ولهذا لا توجد أية جدوى من مواجهته...والأسلم للجميع هو جنوح السلام والابتعاد على المشوشين.

الوسائل والأدوات التي استخدمت

- الدعاية بمختلف أنواعها؛
- الجواسيس؛
- العملاء؛
- المنشورات
- الترهيب والتخويف

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر...

الحرب النفسية الموجهة إلى الجزائريين

2- أفكار لغرس روح الدونية والاستسلام عند الجزائريين:

- وضع قانون خاص بالسكان الجزائريين؛
- التفرقة بين البربر (يصلحون للأعمال اليدوية) والعرب (الكسالى فهم على حالهم لا يتغيرون)،
- التفرقة بين سكان الجزائر من عرب وبربر واليهود الساكنين بالجزائر،

الوسائل والأدوات التي استخدمت

- قانون الأهالي (1865)
- قانون إكريمو (1871)
- الدعايات؛
- الشائعات؛
- استخدام تقنيات التفرقة؛
- التخويف والاغتيالات؛

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر...

الحرب النفسية الموجهة إلى الجزائريين

3- أفكار للترهيب والتركيع والقضاء على جزء من سكان الجزائر بهدف التمكن التام من طرف المعمرين من الأرض:

- التهجير بداخل وخارج الجزائر؛
- التفقير الاقتصادي للأهالي؛
- التفقير الثقافي للأهالي؛
- التفقير الأخلاقي للأهالي؛
- العقاب المادي الفردي والجماعي، بسبب وبدون سبب؛

الوسائل والأدوات التي استخدمت

- حرق المحاصيل الزراعية،
- الاستلاء على الراضي،
- القتل الجماعي،
- المحارق؛
- حرق القرى والمداشر وتهجير سكانها؛
- المحتشدات؛
- الاغتيالات؛
- الاعتداء على شرف الأسر؛
- تحويل المساجد إلى كنائس أو مقرات أو هدمهم؛
- غلق المدارس؛

.....

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر...

- من الواضح بأن برنامج المستعمِر فيما يخص الحرب النفسية شمل الجميع (الفرنسيين، الأوروبيين والجزائريين) ويتجاوب مع طموحاته التوسعية الاستيطانية.
- لقد تمكن المستعمِر من كسب غطاء لكل التجاوزات المقترفة من طرف جيشة وقادته السياسيين والعسكريين، رغم أنه **استباح كل شيء** ؛
- فهذا القائد بيجو يقول " إن جسم العربي يعذب بكل أنواع التعذيب ويقطع إربا إربا ويدخن قبل أن يصير في نهاية الأمر مادة خام". مع العلم أن التحطيم الغير محدود وصل النبات والجماد حيث أحرقت المزارع والمحاصيل والأشجار ودمرت المباني والمساجد والقرى والمداشر.
- وفي هذا الإطار يقول قرانميزون (2007) إن هذه النظرة اعتمد عليها في احتلال الجزائر من اجل استتباب السلم والأمن للمعمرين.

- يجب التنبيه إلى أن قيادات المستعمر لم يقوموا بهذه الأمور الوحشية ذات الطابع الهمجي في الجزائر التي استولوا عليها لمجرد القتل والسلب والنهب والحرق بدون سبب وبدون تخطيط. إن الهدف المقصود من كل هذا هو الرغبة في القضاء على جزء من السكان وترهيب الباقي وتركيعهم إلى أقصى حد... **إنها الحـــرب النفـــسية.**

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر...

- إن تجاوزات المستعمِر بدأت مباشرة بعد تجاوز الدفاعات الجزائرية لمدينة الجزائر بدون عناء كبير. حيث نزلت قواته في شواطئ سيدي فرج وبعد معركة سطاوالي الغير مكلفة لقوات الغازي تم تسليم المدينة يوم 5 جويلية 1830.

- ويبقى سقوط مدينة الجزائر وانهزامها بداية قاسية لتجربة مريرة لشعب كامل لكن دون استسلام، حيث بدأت الثورات الشعبية ودامت حتى بداية القرن العشرين (مع نهاية ثورة الشيخ بوعمامة).

- إن هذه الثورات الشعبية تدل على وجود نقطتين هامتين، **أولا** : عدم وجود مؤسسات مركزية يمكنها تنظيم المواجهة الشاملة مع العدو **وثانيا:** وجود شعور وطني في مختلف مناطق الجزائر مع الاستعداد لمواجهة العدو رغم وحشيته.

4. المرحلة الأولى (1830-1900) غزو فرنسا للجزائر: نجاح الحرب النفسية المعتمدة من طرف المستعمِر

- وبعد ما تمكن المستعمِر من اغلبية المناطق، خلال هذه المرحلة عمل على إحلال نظام إداري مزدوج الأول خاص بالمعمرين (يتمتعون بكل الحقوق) والثاني خاص بالأهالي لديهم إلا الواجبات (1865).

كان الهدف من هذا القانون هو إبقاء الجزائريين قابعين في وضعية المغلوبين بدون حق المبادرة وحق الفعل. إن المستعمِر استخرج هذا الأسلوب لإهانة الأهالي وغرس روح الدونية في نفسيتهم. فترسانة القوانين الاستعمارية حملت في طياتها بالأساس الاتهام إلى كل جزائري على أنه أهلي وبالتالي من درجة أقل من الفرنسي...**إنها الحرب النفسية.**

إن الجيل الذي عايش الغزو من بدايته إلى غاية استكماله، رغم كل التضحيات والمحاولات الشجاعة التي قام بها، **فشل في إحداث تنظيم قادر على طرد الغازي**. ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت مرحلة جديدة مع جيل جديد وبتصورات ومعنويات جديدة.

5. المرحلة الثانية (1900-1954) صعوبة التكيف مع الهزيمة: إعادة بناء الذات والمعنويات...

- **خلال هذه المرحلة عمد الاستعمار إلى القيام بما يلي:**

أولا- تدعيم فلسفته السابقة حيث عمل على :

- المواصلة في هدم الفرد الجزائري والشخصية الجزائرية (سلب ما تبقى من أراضيه، الاغتيالات، المداهمات، التهجير، التفرقة،....)،
- المواصلة في تحقير الفرد الجزائري (اصدار قوانين استثنائية أخرى)،
- المواصلة في خزي الجزائريين باستخدام أبناء جلدتهم في مراقبتهم ومتابعتهم (البشاغاوات والقياد).

ثانيا- الاحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر

- **5اشهر(عملية التحضير)**
- **6 اشهر احتفالات متنوعة (مهرجانات، مؤتمرات، محاضرات... عبر التراب الجزائري)،**
- **ألف عدد من الكتاب عدة كتب، أهمها 12 كتاب تعرف بكراريس الذكرى المئوية، حيث أبرز فيها المؤلفون محاسن الاستعمار وتغاضوا عن المآسي التي يعاني منها الجزائريين ... إنها الحرب النفسية.**